(٧)

نهاية أبي رافع اليهوديّ

قال ابن إسحاق: ولما انقضى شأنُ الخندق وأمرُ بني قريظة، وكان سلام بن أبي الحقيق – وهو أبو رافع – فيمن حزب الأحزاب على رسول الله ﷺ، وكانت الأوس قبل أُحد قد قالت كعب بن الأشرف، فاستأذن الخزرج رسول الله ﷺ في قتل سلام بن أبي الحقيق وهو بخيبر فأذن لهم. قال ابن إسحاق: فحدَّثني محمد بن مسلم الزُّهريُّ عن عبد الله بن كعب بن مالك قال: وكان مما صنع الله لرسوله ﷺ أن هذين الحيَّيْن من الأنصار الأوس والخزرج كانا يتصاولان مع رسول الله ﷺ تصاول الفحلين لا تصنع الأوس شيئا فيه غناء عن رسول الله ﷺ إلا وقالت الخزرج: والله لا يذهبون بهذه فضلاً علينا عند رسول الله ﷺ، فلا ينتهون حتى يوقعوا مثلها وإذا فعلت الخزرج شيئا قالت الأوس مثل ذلك.

قال: ولما أصابت الأوسُ كعبَ بن الأشرف في عداوته لرسول الله ﷺ قالت الخزرج: والله لا يذهبون بها فضلاً علينا أبداً. قال: فتذاكروا من رجل لرسول الله ﷺ في العداوة كابن الأشرف فذكروا ابن أبي الحقيق وهو بخيبر، فاستأذنوا الرسول صلى الله عليه وسلم في قتله فأذن لهم، فخرج من الخزرج من بني سلمة خمسة نفر: عبد الله بن عتيك، ومسعود بن سنان، وعبد الله بن أنيس، وأبو قتادة الحارث بن ربعي، وخزاعي بن أسود – حليف لهم من

أسلم ، فخرجوا، وأَمَّرَ عليهم رسول الله ﷺ عبد الله بن عتيك، ونهاهم أن يقتلوا وليداً أو امرأةً، فخرجوا حتى إذا قدموا خيبر أتوا دار ابن أبي الحقيق ليلاً، فلم يدعوا بيتاً في الدَّار حتى أغلقوه على أهله، قال: وكان في علية له إليها عجلة، قال: فأسندوا إليها حتى قاموا على بابه فاستأذنوا، فخرجت إليهم امرأته، فقالت: من أنتم؟ قالوا: أناس من العرب نلتمس الميرة. قالت: ذاكم صاحبكم فادخلوا عليه.

فلما دخلنا أغلقنا علينا وعليه الحجرة؛ تَخَوُّفاً أن يكون دونه محاولة تحول بيننا وبينه، قال: فصاحت امرأتُه فنوَّهت بنا فابتدرناه وهو على فراشه بأسيافنا، فوالله ما يدلُّنا عليه في سواد الليل إلا بياضه كأنه قبطيةٌ ملقاة. قال: فلما صاحت بنا امرأتُه جعل الرجل يرفع عليها سيفَه ثم يذكر نهيَ رسول الله ﷺ، فيكفّ يده؟! ولولا ذلك لفرغنا منها بليل. قال: فلما ضربناه بأسيافنا تحامل عليه عبد الله بن أُنيس بسيفه في بطنه حتى أنفذه وهو يقول: قطني قطني. أي: حسبي حسبي. قال: وخرجنا وكان عبد الله بن عتيك سيئ البصر، قال: فوقع من الدرجة فوثبت يده وثبا شديدا وحملناه حتى نأتي به منهرا[1] من عيونهم فندخل فيه، فأوقدوا النيران واشتدوا في كل وجه يطلبوننا حتى إذا يئسوا رجعوا إليه فاكتنفوه وهو يقضي.

قال: "فقلنا: كيف لنا بأن نعلم بأن عدو الله قد مات؟" قال: فقال رجل منا: أنا أذهب فأنظر لكم. فانطلق حتى دخل في الناس

(١) منهرا: خرق في الحصن.

قال: فوجدتها – يعني امرأته – ورجال يهود حولـه، وفي يـدها المصباح تنظر في وجهه وتحدِّثهم وتقول: أما والله قد سمعت صوتَ ابن عتيك ثم أكذبت نفسي وقلت: أنَّى ابن عتيك بهذه الـبلاد. ثم أَقْبَلَتْ عليه تنظر في وجهه فقالت: فاظ وإله يهود. فما سمعت كلمة كانت ألذَّ على نفسي منها. قال: ثم جاءنا فأخبرنا فاحتملنا صاحبنا وقدمنا على رسول الله ﷺ فأخبرناه بقتل عدوِّ الله، واختلفنا عنـده في قتله كلُّنا يدَّعيه، قال: "فقال: هاتوا أسيافكم". فجئنا بها فنظـر إليها فقال لسيف عبد الله بن أنس: هذا قتله، أرى فيه أثر الطعام. قال ابن إسحاق: فقال حسان بن ثابت في ذلك:

لله در عصـــــــابة لاقيتـــــــهم
يا ابن الحقيق وأنـت يـا ابـن الأشـرف
يســـرون بـــالبيض الخفـــاف إلـــيكم
مرحـــا كأســـد في عـــرين مغـــرف
حـــتى أتـــوكم في محـــل بلادكـــم
فســـقوكم حتفـــاً ببـــيض ذُفَّـــف[1]
مستبصـــرين لنصـــر ديـــن نبـــيهم
مستصـــغرين لكـــل أمـــر مجحـــف

هكذا أورد هذه القصة الإمام محمد بن إسحاق رحمه الله، وقد قال الإمام أبو عبد الله البخاري: حدثنا إسحاق بن نصر، حـدثنا يحيى بن آدم، حدثنا ابن أبي زائدة عن أبيه عن أبي إسحاق عن البراء

(١) الذفف: السيوف السريعة والخفيفة.

بن عازب قال: بعث النبي ﷺ رهطا إلى أبي رافع فدخل عليه عبد الله بن عتيك بيته ليلا وهو نائم فقتله. قال البخاريُّ: حدَّثنا يوسف بن موسى، حدثنا عبد الله بن موسى عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن البراء قال: بعث رسول الله ﷺ إلى أبي رافع اليهوديِّ رجالاً من الأنصار، وأَمَّرَ عليهم عبدَ الله بن عتيك، وكان أبو رافع يؤذي رسول الله ﷺ ويعين عليه، وكان في حصن له بأرض الحجاز، فلما دنوا منه وقد غربت الشمس وراح الناس بسرحهم قال عبد الله: اجلسوا مكانكم؛ فإني منطلق متلطف للبواب؛ لعلي أن أدخل، فأقبل. حتى دنا من الباب ثم تقنع بثوبه كأنه يقضي حاجته وقد دخل الناس، فهتف به البواب: يا عبد الله، إن كنت تريد أن تدخل فادخل؛ فإني أريد أن أغلق الباب. فدخلت فكمنت، فلمَّا دخل الناس أغلق الباب ثم علَّق الأغاليق عليّ وَدّ؛ قال: فقمت إلى الأقاليد وأخذتُها وفتحت الباب، وكان أبو رافع يسمر عنده، وكان في علالي له؛ فلما ذهب عنه أهل سمره صعدتُ إليه فجعلت كلما فتحت بابا أغلقت عليَّ من داخل فقلت: إنَّ القومَ سدروا لي لم يخلصوا إليَّ حتى أقتله. فانتهيتُ إليه فإذا هو في بيت مظلم وسط عياله لا أدري أين هو من البيت، قلت: أبا رافع. قال: من هذا؟ فأهويت نحو الصَّوت فأضربه بالسيف ضربة وأنا دهش، فما أغنيت شيئا وصاح، فخرجت من البيت، فأمكث غير بعيد ثم دخلتُ إليه فقلت: ما هذا الصوت يا أبا رافع؟ فقال: لأمِّك الويل؛ إنَّ رجلاً في البيت قتل بالسيف.

قال: فأضربته ضربة أثخنته و لم أقتله ثم وضعت صبيب السيف

في بطنه حتى أخذ في ظهره فعرفت أني قتلتُه فجعلتُ أفتح الأبوابَ باباً باباً حتى انتهيتُ إلى درجة له فوضعتُ رجلي وأنا أرى أنِّي قد انتهيتُ، فوقعتُ في ليلة مقمرة فانكسرت ساقي فعصبتها بعمامة حتى انطلقت حتى جلست على الباب فقلت: لا أخرج الليلة حتى أعلم أَقَتَلْتُه، فلمَّا صاح الديك قام الناعي على السور فقال: أنعي أبا رافع ناصر أهل الحجاز، فانطلقتُ إلى أصحابي فقلت: النَّجاء؛ فقد قتل الله أبا رافع، فانتهيتُ إلى النَّبيِّ ﷺ فحدثتُه فقال: «**ابسط رجلك**»، فبسطتُ رجلي فمسحها، فكأنما لم أشتكها قط.

قال البخاريُّ: حدَّثنا أحمد بن عثمان بن حكيم الأودي، حدثنا شريح، حدثنا إبراهيم بن يوسف، عن أبيه، عن أبي إسحاق، سمعت البراء قال: بعث رسولُ الله ﷺ إلى أبي رافع عبدَ الله بن عتيك وعبدَ الله بن عتبة في ناس معهم، فانطلقوا حتى دنوا من الحصن فقال لهم عبد الله بن عتيك: امكثوا أنتم حتى أنطلق أنا فأنظر. قال: فتلطفت حتى أدخل الحصن، ففقدوا حماراً لهم، فخرجوا (بقبس)[1] يطلبونه، قال: فخشيتُ أن أعرف. قال: فغطيتُ رأسي وجلستُ كأنِّي أقضي حاجة، فقال: من أراد أن يدخل فليدخل قبل أن أغلقه. فدخلت ثم اختبأت في مربط حمار عند باب الحصن فتعشوا عند أبي رافع وتحدَّثوا حتى ذهب ساعة من الليل ثم رجعوا إلى بيوتهم، فلما هدأت الأصوات وأنا لا أسمع حركة خرجت.

---

(١) القبس: الشعلة.

قال: ورأيت صاحب الباب حيث وضع مفتاح الحصن في كوة فأخذته ففتحت به باب الحصن، قال: قلت: إن نذر بي القوم انطلقت على مهل ثم عمدت إلى أبواب فغلقتها عليهم من ظاهر ثم صعدت إلى أبي رافع في سلم فإذا البيت مظلم قد طفئ سراجُه، فلم أدر أي الرجل، فقلت: يا أبا رافع. قال: مَنْ هذا؟ فعمدتُ نحو الصوت فأضربه، وصاح فلم تغن شيئا، قال: ثم جئتُه كأنِّي أغيثه فقلت: مالك يا أبا رافع؟ وغيَّرْتُ صوتي. قال: لا أعجبك لأمك الويل دخل عليَّ رجل فضربني بالسيف. قال: فعمدتُ إليه أيضاً فأضربه أخرى فلم تغن شيئاً فصاح وقام أهله، ثم جئت وغيَّرت صوتي كهيئة المغيث، فإذا هو مستلق على ظهره، فأضع السيف في بطنه ثم أنكفئ عليه، حتى سمعتُ صوت العظم، ثم خرجت دهشا حتى أتيتُ السُّلَّمَ أريد أن أنزل فأسقط منه، فانخلعت رجلي فعصبتها، ثم أتيتُ أصحابي أحجل فقلت: انطلقوا فبشِّروا رسولَ الله ﷺ؛ فإنِّي لا أبرح حتى أسمع النَّاعية، فلما كان في وجه الصُّبح صعد النَّاعية فقال: أنعي أبا رافع. قال: فقمت أمشي ما بي قلبه، فأدركتُ أصحابي قبل أن يأتوا رسولَ الله ﷺ فبشَّرتُه. تفرَّد به البخاريُّ بهذه السِّياقات من بين أصحاب الكتب السِّتَّة، ثم قال: قال الزّهريّ: قال أبيّ بن كعب: فقدموا على رسول الله ﷺ وهو على المنبر فقال: «**أفلحت الوجوه**». قال: أفلح وجهُك يا رسول الله. قال: «**أفتكتموه؟**» قالوا: نعم. قال: «**ناولني السيف**». فسلَّه فقال: «**أجل؛ هذا طعامه في ذباب السيف**». قلت: "يحتمل أن عبد الله بن عتيك لما سقط من تلك الدَّرجة انفكَّت قدمُه

وانكسرت ساقه ووثبت رجلُه، فلما عَصَّبها استكنَّ ما به لما هو فيه من الأمر الباهر، ولما أراد المشي أعين على ذلك لما هو فيه من الجهاد النافع، ثم لما وصل إلى رسول الله ﷺ واستقرت نفسه ثاوره[1] الوجع في رجله، فلما بسط ومسح رسول الله ﷺ ذهب ما كان بها بأس في الماضي، ولم يبق بها وجع يُتَوقَّع حصولُه في المستقبل؛ جمعاً بين هذه الرِّواية والتي تقدَّمت، والله أعلم.

هذا وقد ذكر موسى بن عقبة في مغازيه مثل سياق محمد بن إسحاق وسمى الجماعة الذين ذهبوا إليه كما ذكره ابن إسحاق وإبراهيم وأبو عبيد.

(١) ثاوره: عاد ثانية.

obeikandl.com